صورٌ من احتسابِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ (1)

الحمدُ للهِ وبعدُ ؛

شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ عالمٌ رباني شهد له الأعداءُ قبل الأصدقاءِ بعلمه وعمله ، بحرٌ في العلمِ ... في الدعوةِ ... في الاحتسابِ ... أُلفت في سيرتهِ المؤلفاتُ ، وحُققت كتبهُ في الجامعاتِ ، وخُصصت رسائل علمية في فنونٍ مختلفةٍ من علومه ، ردَّ على الفلاسفةِ والمبتدعةِ واليهودِ والنصارى ، عاش في زمنٍ عزت فيه السنةُ ، وغلبتِ البدعةُ ، كان جبلاً شامخاً في الاحتسابِ ، لا يخشى في اللهِ لومةَ لائمٍ ، شجاعٌ في أصعبِ المواقفِ وأحلكِ الظروفِ ، كان اتصالهُ بالناسِ مباشراً ، متحسساً لمشكلاتهم ، حريصاً عليهم ، لم يكن منقطعاً عنهم .

دعونا نأخذُ جانباً واحداً من جوانبِ حياةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ - رحمهُ اللهُ - وهو جانبُ الاحتسابِ ، ليتبين أننا لم نتجاوزِ الحدَّ في الثناءِ عليه ، مع اعتقادنا الجازم أنه بشرٌ يقعُ منه الخطأ ، ولا ندعي عصمتهُ ، ولكنهُ عالمٌ رباني

بحقٍ ، كان يعيشُ بين الناسِ بعلمهِ وعملهِ ، فرحمهُ اللهُ رحمةً واسعةً .

الصورةُ الأولى : كان شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةُ من أشدِّ الناسِ إنكاراً على البدعِ التي تقعُ في مجتمعهِ ، وخاصةً ما يوقعُ الأمة في الشركِ ، فكان يحتسبُ في إنكارها ، فمن حين سماعه بمنكرٍ ظاهرٍ يستخيرُ اللهَ ويخرج للانكارِ ، وهكذا يكونُ العلماءُ في الأمةِ ، فما فائدةُ العالمِ إذا كان لا يعيشُ همومَ الأمةِ ؟!

جاء في '' الجامعِ لسيرةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ خلال سبعة قرون '' (ص 134) ، تحت فصلٍ فيما قام به ابنُ تيميةَ وتفرد به وذلك في تكسير الأحجارِ لخادمِ شيخِ الإسلامِ إبراهيم بن أحمد الغياني ما نصه : '' فبلغ الشيخ أن جميعَ ما ذكر من البدعِ يتعمدها الناسُ عند العمودِ المُخَلَّقِ الذي داخل (البابِ الصغيرِ) الذي عند (دربِ النافدانيين) . فشدَّ عليه وقام ، واستخار اللهَ في الخروجِ إلى كسرهِ ، فحدثني أخوهُ الشيخُ الإمامُ القدوةُ شرفُ الدينِ عبدُ اللهِ ابنُ تيميةَ قال : فخرجنا لكسرهِ

فسمع الناسُ أن الشيخَ يخرجُ لكسرِ العمودِ المُخَلَّقِ ؛ فاجتمع معنا خلقٌ كثيرٌ . قال : فلما خرجنا نحوه ، وشاع في البلدانِ : ابنُ تيميةَ طالعٌ ليسكر العمودَ المُخَلَّقَ ، صاح الشيطانُ في البلدِ ، وضجتِ الناسُ بأقوالٍ مختلفةٍ ، هذا يقولُ : " ما بقيت عينُ الفيجةِ تطلعُ " ، وهذا يقولُ : " ما ينزلُ المطرُ ، ولا يثمرُ الشجرُ " ، وهذا يقولُ : " ما بقي ابنُ تيميةَ يفلحُ بعد أن تعرّض لهذا " ، وكل من يقولُ شيئاً غير هذا .

قال الشيخُ شرفُ الدينِ : فما وصلنا إلى عنده إلا وقد رجع عنا غالبُ الناسِ ، خشية أن ينالهم في أنفسهم آفةٌ من الآفاتِ ، أو ينقطعُ بسببِ كسرهِ بعضُ الخيراتِ .

قال : فتقدمنا إليه ، وصحنا على الحجَّارين : " دونكم هذا الصنم " فما جسر أحدٌ منهم يتقدمُ إليه . قال فأخذتُ أنا والشيخ المعاول منهم ، وضربنا فيه ، وقلنا : [جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا "] الإسراء : 81 .

[وقلنا : إن أصاب أحداً منه شيءٌ نكونُ نحن فداهُ .

وتابعنا الناسُ فيه بالضربِ حتى كسرناهُ ، فوجدنا خلفهُ

صنمين حجارة مجسَّدة مصوَّرة ، طول كل صنم نحو شبر ونصف .

وقال الشيخُ شرفُ الدين : قال الشيخُ النووي : '' اللهم أقم لدينك رجلاً يكسر العمودَ المُخَلَّقَ ، ويخرب القبر الذي في جيرون '' فهذا من كراماتِ الشيخِ محيى الدين (أي النووي) . فكسرناهُ ولله الحمدُ ، وما أصاب الناسُ من ذلك إلا الخيرَ . والحمدُ للهِ وحدهُ '' .ا.هـ.

فالأمةُ بحاجةٍ لعلماء مثل شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ - رحمهُ اللهُ - في الاحتسابِ على المنكراتِ الظاهرةِ ، والتي توقعُ الناس في الشركِ ، والعالمُ الذي لا يتحركُ ولا يهتمُ بوقوعِ الأمةِ في الشركِ ، فمتى يتحركُ ؟!

ومع قصةٍ أخرى ...

رابط المقال فر جريدة المدينة ملحق الرسالة

http://www.almadinapress.com/index.aspx?

Issueid=1069&pubid=5&CatID=230&articleid=121570

كتبه
عَـبْـد الـلَّـه بن محمد زُقَـيْـل